

في نور محمد فاطمة الزهراء

فأسرعت فباعَت الفلادة، واشترت بثمنها عبداً مسلماً أعتقته تقرّباً إلى الله. * * *

لقد كانت فاطمة فيما عهدنا، تحيي على التعفّف، وتطعم التقشّف، وتعيش بالكفاف، شبعها في العبادة... ريبها في الدعاء... ثروتها الإيمان. كانت لا تأخذ من دنياها بنصيب ذي بال، وإن كادت الدنيا بكلّ كنوزها لتسجد عند قدميها وتدعوها: هلمّني وهاك! فهل كانت «فدك» تستحقّ من مثلها هذا الغضب المهتاج؟ سؤال تتفجّر منه الإجابات، وتدور حوله كدورات الكواكب والأقمار حول نجم انفصلت منه، فإذا هي جسيمات من نفس الجنس منجذبة إليه لا تزال! وإذا هذه الإجابات - بالأصل وبالجوهر - بضاع من ذلك السؤال، فما هي تلكم البضع المتناثرة على أديم «مجرّة» الاستفسار؟ ربّما يقال: أئمة من الأئمة يعرفون طبيعة الزهراء من يُعلّق سخطها على هذا العقار؟ أم من يتتبّع شعورها ويتقصّها، ثم يُعيي فكّرَه أن يراه أدخل في باب الحزن منه في باب الحسرة على ما ضاع؟ أم من لا يكاد يوقن أن قد آسفها من صاحب محمد - رفيق عمره، وثاني اثنين إذ هما في الغار - إنكاره دعوى نحلّتها إلاّ أن تأتيه بيّنة وبرهان، كأنّما اهترت في عينيه صورتها، فاختلطت الملامح، وبهتت الألوان؟ لكأنّّها بمنزل ارتياب! كأنّ دعواها ادّعاء! كأنّ شهادة شهودها افتراء! وهل شيء هنا أشدّ على نفسها من طنّة سوء تأتيها ممّن يعرف لها قدرها الرفيع، ومكانتها العليّة بين القدّيسات المطهّرات، وتعرف هي أنّّه - من بين أصحاب أبيها المجتبيين - كان الأُنموذج الحيّ للولاء والوفاء؟ ربّما يقال أيضاً: أوّ - لم يؤاسفها منه أن لم يرع فيها ما كانت تحسب أنّّه عنده